شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

١٣

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1] 1
- مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 2
- الفرق بين الأمر بالمعروف والخروج على ولي الأمر 4
- فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 5
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصيصة الأمة 8
- الأمر بالمعروف بين الوجوب وفرضية الكفاية 8
- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 9
- دلالة الترتيب القرآني للأمر قبل النهي 10
- صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر 11
- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 15
- التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 17
- متى يقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ 18
- الابتلاء الواقع على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر 20
- عقوبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 21

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=o6wj0Cf3Lq4

مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شريعة عظيمة جاءت النصوص فيها مستفيضة في كلام الله تعالى وكلام رسول اللهﷺكما جاء بيانها ومفهومها وحقيقتها ومراتبها وفضلها وجملة من أحكامها .

والمراد بهذه الشريعة أن الله تعالى يريد ألا تحيد البشرية والفطرة الإنسانية عما فطرها الله عليه ;لأن الله فطر الناس على فطرة صحيحة سليمة وأنزل شريعة متوافقة مع تلك الفطرة متسقة معها وذلك أنها مُركّبة عليها تركيبًا تامًا كغطاء الإناء يستحكم إغلاقًا ، وتلك مطابقة الشريعة للفطرة حتى يكتمل الاعتدال في ذات البشرية .

والفطرة والعقيدة لا يمكن ان يُحافظ عليها وتبقى على ما هي عليه إلا بأمرين:

الأمر الأول : حياطة الداخل ، حتى في جوانب المعنويات ، فالإنسان إذا كان لديه طعام فإنه يحميه من اللوث الذى قد يطرأ عليه أو القذر فيقوم بحمايته وتغطيته وهذا ما يسمى بالنهي عن المنكر.

فالنهي عن المنكر هو حياطة الاشياء التى تدخل على الإنسان أو تدخل على فطرته وعلى عقيدته.

الأمر الثاني : وهو الأمر بالمعروف وهو المكاثرة لجانب الخير مما يعطي الحصانة ، وذلك أن يدعى من كان خارج عن دائرة المعروف إلى دخوله إليها حتى يكثر السواد وكلما كثر قلب الحق وذاته فإنه يُحمى;ولهذا القذر يأتي الأطراف ولا يأتي الباطن ، كذلك أيضًا من جهة الناس في معركة أو عدوان فإن العدوان يأتي الإطراف بخلاف قلب المعركة .

ولهذا يحرص الإنسان على هذين الأمرين حتى تبقى عقيدته ، فلا يمكن أن تبقى فكرة أيًا ما كانت إلا بهذين الأمرين :أمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن المنكر .

والأمريكون بما يوافق تلك الفكرة و النهي عن الدخيل فيها حتى تُحمى ، وهذا هو سر ديمومة الإسلام أن جاءت الشريعة بالتأكيد على هذا الأمر وهذا الحكم فكانت منزلته عظيمة .

والبشرية إذا سلكت طريق فإن ثمة تيه وضلال قد يطرأ على الإنسان من **ثلاث جهات** :

إما من جهة نفسه الداخلة التي تسول له الباطل بشهوات السمع والبصر والفرج وغير ذلك من المتع التي يريدها الإنسان في نفسه فيريد أن يتسور بها على المحرمات .

وإما من جهة شياطين الجن .

وإما من جهة شياطين الأنس .

وهؤلاء ثلاث أعداء للإنسان يقومون بالتوجه عليه ، والشريعة جاءت بحماية الإنسان من ذلك :

حماية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وحماية الشريعة من أن يدخل عليها شيء من الدخلاء حتى لا تتبدل ولا تتغير .

وقد جاء في الحديث القدسي (إني خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ وأنهم أتتهم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دينهم)[٢] يعني جعلتهم يسلكون طريقا مستقيمًا فغرتهم الشياطين بأن هناك طريق أقصر منه بشيء من التلبيس ثم يقومون بالحيدة ، والأنبياء يقومون بإعادة الناس إلى الحياض وهذا ما يسمى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ;ولهذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)[٣] فديمومة الإصلاح لابد من توفرها حتى لا تحيد الفطر البشرية ، ولهذا جاءت الشريعة بجملة من الدوافع للحفاظ على هذا الحق وهي متنوعة منها ما يتعلق بشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

مثال: الحرص على جماعة المسلمين

الإنسان لديه منافذ : منفذ من جهة السمع والآخر من جهة البصر والثالث من جهة المال ، فإذا اجتمع من لديه شهوة ليست لدى الآخر فيغلق بعضهم لبعض بالهيبة ،فالناس في جماعة لا يظهرون المنكر مع أن المنكر موجود موزع على اختلافهم ويتهيبون من وجود المخالف .

---

٢) رواه مسلم (2865).

٣) رواه البخاري (3455) ومسلم (1842) .

وهذا من الحكم والمقاصد الشرعية بجمع الناس في صلاة الجماعة والخطب وحلق العلم وإجابة الدعوى في الولائم وغير ذلك .

وتأتي الأفكار الحادثة التى تنشأ بمنابذة أمر الجماعة والعيش الفردي في ذات الإنسان حتى يتسلل لديه ما يشاء ويفعل ما يشاء بعيدًا عن الفطرة ، ولهذا جاءت الشريعة للحفاظ على الفطرة من نزوات الإنسان في ذاته .

والفكرة الغربية لا تؤمن بوساوس النفس باعتبار أن الإنسان في ذاته هو كائن واحد فلا يرون خواطر النفس وساوس وإنما قابلة لديهم للتحليل ، وليس لديهم شيطان حتى يستعاذ منه ولهذا يخطر على الإنسان كثير من الخواطر الشاذة من الشذوذ الجنسي أو ربما ما يتعلق بالانحرافات العقلية كالتعري ويرى أن هذا فرض في ذاته.

الفرق بين الأمر بالمعروف والخروج على ولي الأمر

قد روى البزار وغيره من حديث زيد بن وهب أن حذيفة بن اليمان أنكر على أمير في زمنه فجاءوا إليه فقالوا : ألا تنكر ذلك المنكر فقال (إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَحَسَنٌ ، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُشْهِرَ السِّلاحَ عَلَى أَمِيرِكَ)[٤] يريد أن يبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء وإشهار السلاح في وجه الأمير المسلم شيء أخر ، وكثير من الناس يخلطون بين هذين الأمرين فيجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتعلق بدين الناس في حال العامة وأما في حال وجود انحراف في الناس أو ما يتعلق بالفساد العام من الربا وكذلك الكبائر فيظن بذلك أنه خرق لسيادة الحاكم المسلم وأمره ونهيه وهذا لا شك خلطٌ في ذاته ،ولهذا قال حذيفة عليه رضوان الله تعالى وأراد الفصل بين هذين الأمرين قال (إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَحَسَنٌ ، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُشْهِرَ السِّلاحَ عَلَى أَمِيرِكَ) فثمة فرق بين هذا وذاك .

٤) أخرجه البزار في مسنده (2815)، قال البزار : ولا نعلم روى هذا الحديث عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة إلا حبيب بن خالد .

والطوائف الذين لا يفرقون بين هذين الأمرين ويجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمر العامة وإصلاحهم فقط يسميهم غير واحد من العلماء (المرجئة) كما نص عليه ابن تيمية وكذلك ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية .

وهؤلاء ينازعون الحق الذى أمر الله تعالى بإحقاقه وكذلك يلبسون ويعظمون الفجوة التى تكون بين المصلحين وبين حكام المسلمين ولاشك أنه يوجد في كل زمن منذ الصدر الأول وحتى الأزمنة المتأخرة ولكن أهل العلم والعقل والدراية يدركون أن الفرق في ذلك ظاهر وأن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء والتشبث ببعض الأشياء شيء آخر.

وأما ما يتعلق بالفتنة أو إيغار الصدور فهذا نوع من وساوس الشيطان التى تقع في نفوس البعض وربما يسولون لهذا حتى تعظم الفجوة بين الحاكم والمحكوم فهؤلاء متربصون وقطاع طريق في باب الإصلاح فلا ينبغي لأهل الاصلاح أن يلتفتوا إليهم ولكن الواجب هو بيان الحق كما أراد الله تعالى من غير تجاوز .

والتجاوز في الأمر بالمعروف بأن يشبع المصلح نهمه ورغبته وهواه بالتشفي من الحاكم والتشفي من العالم أو التشفي من مجتمع ونحو ذلك فهذا لا شك ليس ما يراد من الإصلاح بحدود الله التى شرعها الله تعالى .

فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكر الله سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع كثيرة وربط بذلك خيرية الأمة ولهذا يقول الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران : 110) ويقول تعالى ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران : 104) وتلك نتيجة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكرفلاح الأمة ونجاحها وتقدمها وعزتها وذلك أن المنكرات التي تنشأ في الأمة إما أن تشغلهم وتلهيهم أن يتعلقوا بأعالي الأمور وإما أن ينشغلوا في السفاسف وتنحط أخلاقهم .

وأعظم ما يكون الانحطاط هو تعلق الناس بالوثنية ولهذا لا تعرف أمة تعلقت بالوثنية إلا وهي في آخر الأمم بل حتى الحضارات الذين تعلقوا بالأصنام لما تركوا الأصنام أصبحوا أهل قوة ومكنة لأن التعلق المادي خير من أن يتعلق بالوثنية مع كون هذا الأمر من الضلال والكفر الذي يدخل في دائرة جحد حق الله تعالى والكفر كله ملة واحدة .

ولهذا ربط الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخيرية الأمة وربط به الفلاح كما في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران :110) وربط الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران : 104) .

وقد جعل الله تعالى أعظم صفات أهل الإيمان بعد توحيد الله ما يتعلق بجانب الاصلاح ولا يمكن تحقق الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا يقول الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(التوبة : 71) فجعل الله ذلك مبرئًا من النفاق بأن لا يوجد أحد يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا زكاه الله بهذه الشريعة فتبعد عنه النفاق وهذا ظاهر في قول الله تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾(التوبة : 67) فجعل الله المنافقين والمنافقات أصحاب اتحاد وألفة على عكس ما يكون عليه أهل الإيمان .

ولهذا الأزمة التي تكون في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أزمة مصطلحات وذلك أنهم يقلبون الحق باطل والباطل حق.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة وقد جاء في بعض الآثار أنها ركن من أركان الإسلام كما جاء عن حذيفة بن اليمان رواه محمد بن نصر المروزي وغيره (قَالَ حُذَيْفَةُ : " الْإِسْلَامُ

ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ : الْإِسْلَامُ سَهْمٌ ، والصَّلَاةُ سَهْمٌ ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ ، وَالْجِهَادُ سَهْمٌ ، وَالْحَجُّ سَهْمٌ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ سَهْمٌ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ ")[٥] وهذا يدل على عظمته ذلك أنه لا يمكن للناس أن يتبعوا الحق إلا مع وجود آمر وهذا الآمر هو المعلم ولهذا أعظم مهنة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها مهمة الأنبياء ولهذا قال الله تعالى على لسان عيسي ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾(مريم : 31) قال غير واحد من المفسرين المراد بالبركة في عيسي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك أن الآمر والناهي قد أخذ مهمة الأنبياء بالإصلاح ولكن يتباين الناس في ذلك فتعليم الناس الخير وإرشادهم فضلٌ من الله تعالى يؤتيه من يشاء .

ومن فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن جعل الله تعالى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر سببًا تُرحم به الأمة فيجعل المصلح حجابًا من النار لهذه الأمة التى يدعو ويصلح فيها وحجابًا أيضا لعدم تعجيل العقوبة عليهم فمن اتبعه كان من أهل الجنة والحق ومن لم يتبعه فإن عقابه فرضي يوم القيامة .

والعقاب العام الذى ينزله الله تعالى على الأمم لا ينزل مع وجود المصلحين ، ولكن ينزله الله مع وجود الصالحين الذين لا يأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولهذا مصلح واحد أعظم عند الله تعالى في أمة من جهة الأثر من ألف صالح وذلك أن صلاح الصالح لنفسه وإصلاح المصلح لنفسه ولغيره وذلك أنه يصلح في الناس ويصل كلامه إلى أمم متفاوتين فيحفظ الله به الدين وينصر به الملة ويدفع به الشرور فبركته متعدية وهي أعظم رسالة رسالة الأنبياء .

٥) رواه البزار (كشف الأستار، رقم: 875)، (مجمع الزوائد: 38/1).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصيصة الأمة

جميع الأنبياء والرسل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وذلك أنهم يدعون إلى توحيد الله تعالى .

قد روى ابن جرير الطبري في كتابه التفسير عن أبي العالية رفيع بن مهران أن **(كل ما ذكره الله في القرآن من "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فـ "الأمر بالمعروف"، دعاء من الشرك إلى الإسلام و"النهي عن المنكر "، النهي عن عبادة الأوثان والشياطين)** [٦] أي أنه ما من نبي إلا دعى قومه وجاءت في هذه الأمة من جهة الخصيصة كما أكد الله تعالى على فضل هذه الشريعة وجعلها فرضية في كل أمة عيناً حتى تقوم سنة المدافعة من جهة دفع الشر وجلب الخير حتى تحمى بيضة المسلمين لهذا من وسائل الحفاظ على قوة الإسلام أن توسع دائرة الإصلاح وأن لا يصل الباطل إلى الحق وقلبه ونواته فيضعفه.

ولهذا تكون ديمومة الإسلام بتكثيره وتوسيع دائرة الإصلاح فيه ;ذلك كقطعة الثلج التى تكون في الماء أو في البحر كلما اتسعت تأخر ذوبانها ولكن إذا كانت ضعيفة فإنها تذوب على عجل .

لذا إذا حرص الإنسان على توسيع الدائرة فإن المقاومة تكون ضعيفة ولهذا جاءت الشريعة على اتساع دائرة الإسلام والنهي عن المنكر بنفي الدخيل إليها حتى يُحافظ على المقدار الموجود فيها وسلامته .

الأمر بالمعروف بين الوجوب وفرضية الكفاية

أوجب الله تعالى أن يكون في الأمة أمة تتفرغ لمثل هذا الأمر وهو جانب الاصلاح العام وهو لا يتعلق بالصلاة والزكاة فقط وإنما هو أوسع من هذا فيتعلق بجميع جوانب فساد الدين والدنيا وقد جعل الله تعالى للحق مراتب وللمنكر دركات .

٦) جامع البيان للطبري - 14/ 348.

واصطفاء أمة من الأمم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظاهرٌ في كلام الله تعالى وكلام رسولهﷺ.

وأما بالنسبة للأفراد فيجب عليهم عينًا عند رؤية المنكر والقدرة على إنكاره الإنكار وهذا لما جاء عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) [٧] وهذا إشارة إلى أن الشريعة جاءت بتوسيع هذه الدائرة لا لتضيقها فبدأت بالأقصى وهو اليد فمن لم يستطع إنكار على من كان حوله فإنه يستطيع أن ينكر على ولده إذا وجد شيء محرم كالخمر ونحو ذلك.

إذًا ثمة مقدار من إنكار المنكر يختلف بمقدار المفسدة المترتبة عليه ، كذلك اللسان باعتبار أن اللسان هو الذى يستطيعه عامة الناس ثم القلب وذلك أضعف الإيمان يعنى أن الإنسان ينبغي أن يحافظ على هذا الأمر فذلك هو جمرة الإيمان فإذ لم ينكر في قلبه فهذا أمارة على وجود حب لهذا المنكر ولا يحب المنكر إلا وقد استحكم النفاق أو الكفر في قلبه.

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن مرتبة اللسان لا تسقط من الإنسان على الإطلاق ، وذلك أن الله تعالى أوجب على الإنسان أن ينكر المنكر بلسانه ولو كان في أدنى الأمور أن ينكر عند مكانة قريبة منه فضلا عمن كان بعيداً إذا استطاع في ذلك على المراتب أو المفاسد التى يلمسها الإنسان ويجدها في صدى قلبه والإنسان يُرجع فيه إلى عقله المتجرد من أى شهوة أو شبهة أومطمع أو دفع بلاء لحظ نفسه .

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران : 110) أوجب الله على هذه الأمة الإصلاح عينا تكليفا وأرى بدخول رجال الحسبة ورجال الأمن ورجال مكافحة المخدرات وكل من أنكر منكرًا ورعى مصلحة من مصالح

[٧]) رواه مسلم (49) كتاب الإيمان،وأبوداود(1140)كتاب الصلاة باب الخطبة يوم العيد ، والترمذي(2172)كتاب الفتن ، والنسائي (5008) كتاب الإيمان ، وابن ماجه (4013) كتاب الفتن .

الأمة في دينها ودنياها فهو من أهل الاحتساب وهو داخل في الخيرية ومستحق للفلاح بإذن الله تعالى.

ولا يسقط عن الباقيين بل هو واجب عليهم وليس لأحد أن يسقط عن الأمة جميعاً وجوب شريعة أوجبها الله عند قيام سببها فقدجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً عند رؤية المنكر .

ولهذا يقول النبي ﷺ (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) [٨] والخطاب الذى جاء عن النبي هو من الوحي كما في قول الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّـةٌ﴾ فجعل الله تعالى أمة متفرغة حتى لا تتواكل الناس بعضها على بعض فتتعطل الشريعة ، ولهذا كان ظاهر فعل النبي ﷺ أنه أوجب على فئة معينة أن تتفرغ لهذا الجانب حتى لا تتواكل الناس وتضيع الشريعة.

والناس المتفرقون الذين يسيرون في الأسواق في أعمالهم وفي متاجرهم يرون شيء من المنكرات فيجب عليهم بحديث سعيد الخدرى عمومًا ، ويختلف في ذلك مقدار المنكر وقدرة الإنسان عليه وكذلك مراتبه .

دلالة الترتيب القرآني للأمر قبل النهي

جاء الترتيب الرباني للأمر بالمعروف قبل النهي عن المنكر في ظواهر النصوص القرآنية كما في قوله تعالى :

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(آل عمران :110)

﴿الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(التوبة :112)

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(لقمان :17)

٨) انظر السابق (7).

قُدم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر لأن المنكر عارض تلبساً في الإنسان لا يوجد في فطرته ولا يوجد في وحي الله ولكنه دخيل عليه ، فالدخيل عارض ، والأصل في ذلك أن الإنسان يؤمر بالمعروف حتى يبادر بالاستكثار والزيادة وذلك أن قصور الإنسان في أداء المعروف أكثر من تلبسه للمنكر ولهذا أبواب التروك أكثر من أبواب الأفعال فالإنسان تارك من جهة الأصل لهذا يُحث على المعروف على الصلاة والصدقة والصيام والنسك وغير ذلك من الأوامر التي أمر الله بها ، وهذا باب الموازنة أن الإنسان لا ينشغل بالنهي عن المنكر فيتتبع المنكرات ويعطل الأوامر .

وكل معروف يستلزم نهي عن المنكر وكل نهي عن منكر يستلزم من ذلك فعلاً للمعروف ، فالموازنة هي من العدل والحق ، وهذا ما كان يسلكه النبي ﷺ ، فلم يكن متفرغ لنهي الناس عن الشرك بل كان يأمرهم بالمعروف كما جاء في حديث أبي سفيان لما سئل عن النبي قبل إسلامه فقال كان النبي يدعونا إلى عبادة الله وإلى العفاف وأداء الأمانة والصدق فكان يدعوهم أيضاً مع نهيه عن الشرك إلى أمثال هذه المراتب ، وهذه من الأمور المهمة التي لابد أن تصاحب الإنسان حتى يعلم أن الإنسان لا يتصيد الأخطاء ويبحث عنها ، بل أيضاً يدعو الناس إلى ما هو خير لهم من جهة العمل والمبادرة ، وذلك أن كسب الإنسان للخير أعظم أجرًا وأثرًا عليه من تركه لذلك المنكر .

صفات الآمربالمعروف والناهي عن المنكر

ثمة جهات لصفات من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر :

الجهة الأولى : ماهو المعروف وما هو المنكر ؟

المعروف ما عرفه الله تعالى في كتابه ونبيه ﷺ وما عرفته الفطرة من غير تحريف وتبديل ، والمنكر ما أنكره الله تعالى ونبيه ﷺ والفطر السليمة .

والإنسان قد يتبدل ويجعل المعروف منكر والمنكر معروف ، ولهذا تجد الناس في ذاتهم بحسب تغيير الطارئ عليهم منهم من هو معتدل ومنهم من أخذ شيء من المعروف ليس كاملاً فأصبح لديه شيء من الخلط ولهذا تتغير الفطر وتتغير العقول والقلوب والأفكار بحسب العوارض عليها .

أوجد الله تعالى الإنسان على فطرة صحيحة ولهذا المولود في صغره لا يمكن أن يكذب فإن سألته أجابك بصدق من غير كذب ثم إذا كبر بدأ يأخذ الكذب ممن حوله من والديه وإخوانه وزملائه فهذا أمرٌ طارئ عليه ، فالفطرة سليمة كما قال الله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾(الروم : 30) وكما جاء في قول النبي ﷺ (كل مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوَ يُنَصِّرَانِهِ أَوَ يُمَجِّسَانِهِ)[٩] فالله تعالى بيّن فطرة الإنسان وبيّن الشريعة وهما اللذان يميزان الحق ، ولهذا يقول النبي ﷺ (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ)[١٠] فمن الناس من لا يرى الأثم أثم ولهذا تتعرى المرأة ويفاخر البعض بالصديقة والحميمة كما يوجد عند الفكر الغربي وغير ذلك من الانحلال ، فهذه فطرة مبدّلة .

والنبي ﷺ إنما خاطب أناس أصحاب فطر سليمة ، فمن الناس من يحب القتل ويحب السرقة ولا يرى فيهما بأس فتلك نفوس مبدلة ولا يتوجه إليهم الخطاب ، ولهذا جاء في الحديث (أن غُلاما شابّا أَتَى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله ائْذَن لي في الزِّنى ؟ فصاح الناس به ؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – ادْنُ : فَدَنا حتى جَلَس بين يديْهِ فقال : أتُحِبّه لأُمّك ؟ قال : لا – جَعَلَني الله فِداك ، قال : كذلك الناس لا يُحبّونه لأُمّهاتهم . أتُحِبّه لابنَتك ؟ قال : لا – جَعَلَني الله فِداك . قال : كذلك الناس لا يُحِبّونه لِبَناتهم . أتُحِبّه لأُخْتك)[١١] فهذا الخطاب توجه إليه لأنه صاحب فطرة سليمة صحيحة ، ولهذا قال : لا – جَعَلَني الله فِداك.

٩) رواه البخاري (1 / 341 و 348 و 3 / 308) ومسلم (8 / 53) .
١٠) رواه مسلم (2553) .
١١) رواه أحمد(21708) .

لكن من الناس من إذا قيل له أترضاه لأختك ! قال : نعم أرضاه ، فإذا أتيت لرجل تمكّن من الحرية كما يوجد عند الغرب يرى أنه يحق لأخته ما يحق له من جانب الزنا ، فهذا لا يتوجه إليه الخطاب لأنه قد بدلت فطرته ولم يكن لديه شيء من الوحي حتى يحافظ عليه .

لهذا لابد من اجتماع الفطرة والوحي ، فإذا اختلت الفطرة فإنه يرجع لكلام الله تعالى ولا يرجع للفطر المبدلة ، ولو رجعنا إلى نفس الإنسان في ذاته وتحليله فإن هناك من يحل الربا ويحل المخدرات وغير ذلك ، وإذا قيل له الأثم ما حاك في نفسك ، قال لا يحك في نفسي شيء ، وهذه الأمور لا حد لها فيدخل في ذلك الزنا واللواط وغير ذلك من الفواحش العظيمة .

وشريعة الله جاءت تتميمًا وحفاظا لهذه الفطرة حتى لا تتبدل فإذا تبدلت الفطرة فإن الله قد بين تصحيحها وقضى بأحكامه فيها .

الجهة الثانية : من يأمر وينهي ؟

لابد أن يكون عالم بكلام الله تعالى وعالم بسنة نبيه ﷺ حتى يتوجه إليه الخطاب وإلا ما عرف المعروف وما عرف المنكر .

أيضًا لابد من معرفته مواضع التنزيل فمعرفة حقائق الأشياء لا يملّكه تنزيلها في موضعها الصحيح لأنه عرف الحق بذاته لكنه ما عرف موضعه .

ولهذا الإنسان إذا عرف الحق في ذاته ولم يعرف مرتبته ومنزلته ، فإنه سيقع لديه الاختلال ، كمعرفة السيارة دون معرفة استعمالها فيقع في ذلك الخلل والاضطراب لأنه لا يعرف مواضعها التي تستعمل فيها .

فإذا عرف الإنسان الحق في ذاته ولم يعرف مواضعه المتقدم والمتأخر وترتيبه فإنه يقع في الخلط والضلال ، لهذا نجد كثير من الناس ينشغلون في حيز وجانب معين من دائرة الإسلام وهي الأخلاق والسلوك مع أهميتها وجلالة قدرها إلا أن هناك من يدعو إلى حسن الخلق والكرم

والإحسان للجوار ورحمة الناس ورحمة الأرملة واليتيم وإطعام الطعام وكسوة الناس والرفق بالخلق وتربية الأبناء من غير المسلمين فهذا جانب تدل عليه الفطر كلها.

وهؤلاء يحاولون أن يجعلوا الإسلام جوانب سلوك ويغيبّون الجانب الأعظم المتعلق بالتوحيد ونفي الشرك وما يتعلق بأركان الإسلام الخمسة ما يتعلق بالصلاة والصيام والزكاة ما يتعلق بالزنا ما يتعلق بالشذوذ الاختلاط الخلوة الحجاب وغير ذلك من أحكام الله تعالى .

لهذا نجد اللبس الكثير في كثير من القنوات الفضائية تحاول أن تبرز نوعًا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أو الدعاة الذين يشغلون حيزًا معين تتوافق معه الفطر في كل بلد ، أما الجانب الآخر وهو محل الصراع وهو التوحيد وأركان الإسلام والأمور العظيمة التى وقع فيها الصراع فتغفل عنه !.

وصراع النبي ﷺ مع المشركين لم يكن صراعًا فيما يتعلق بالآداب والسلوك فهم يدركون كرم الضيف والابتسامة ورعاية الأيتام وغير ذلك ولكن لديهم الإشراك في العبودية .

وشريعة الله تعالى لها تراتيب فإذا عرفها الإنسان استطاع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لهذا لا يسوغ أن تأتي لكافر لا يؤمن بالله تخاطبه مثلا بإعفاء اللحى أو بعدم الإسبال وعدم لباس الشهرة لوجود ما هو أعظم من ذلك .

لهذا في جوانب الإصلاح لابد أن نبدأ بالأعلى لأن بها يصح الإيمان ويتدرج في ذلك تدرجا أولى بالدوام كما كان النبي ﷺ يتدرج في ذلك بعد بدايته بالتوحيد .

والمعروف هو ما عرفته الشريعة والمنكر هو ما أنكرته الشريعة وليس لأحد أن يتوجه بتغيير هذه الموازين لتوجه أحد.

ولهذا قد روى ابن حبان من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال (سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي نَفَرٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ ، فَلا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَّ) [١٢] فالميزان ليس

١٢) رواه أحمد : ج 5 ص 329 ، الحاكم : ج 3 ص 356 .

يوجه الناس ولكن العبرة بميزان الشريعة بأن الإنسان يعرف المعروف فإذا عرفه شرعًا عرف ميزانه وتراتيبه من جهة سياقه فلا يأمر بمفضول مع تعطيل فاضل وإنما العن

اية أن يأمر بالفاضل إن صاحبه المفضول حتى لا يثقل على السامع فهذا مما لا بأس به.

ويتدرج بالحكمة التي أمر الله تعالى بها ويستحضر المآلات فإن المآلات لها تأثير من جهة قوة الأمر بميزان عدل وإنصاف وتجرد من غير هوى وتلبيس .

وأن يتوجه بما أمره الله متجردًا من هوى النفس وطمعها وهو ظاهر في قول النبي في حديث أبي سعيد الخدري – رضى الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) [١٣] هذا التدرج إنما جاء من الشارع الحكيم وفق ما أراده الله لا وفق ما تهوى الأنفس .

الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في ظل قول الله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾(طه : 44) يكون الرفق مطلب ينبغي أن يصاحب الإنسان في كل حال ولهذا يقول النبي ﷺ كما جاء في حديث عائشة (مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَه) [١٤] .

وإما مسألة الشدة فلها مواضعها فقول الله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ هذا لين في الابتداء في حال الإنسان جاهلا بخلاف المعاند المكابر فالبدايات يلين فيها رحمةً وشفقة ويشد عليه في حال ظهور العناد وقوته ولهذا قال الله تعالى لما تمادى فرعون على لسان موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾(الإسراء : 102) وهذا ليس من اللين بالقول وإنما هو بشدة بعد لين كان من موسى ورفق فلما ظهر العناد جاءت مرحلة أخرى بالشدة .

---

١٣) سبق تخريجه انظر (7) .

١٤) رواه مسلم (4698) .

لهذا يفرق بين الجاهل وبين من لديه شيء من العلم والشبهة وبين المعاند من اتضحت له الحقائق فهذا يحتاج إلى شيء من الشدة ، والنبي ﷺ لا ينظر إلى ذات المنكر في ذاته وإنما ينظر إلى جهات : الجهة الأولى إلى الفاعل هل هو جاهل أم عالم ؟ الجهة الثانية هل هو منكر ذو أثر شديد أم لا ؟ الجهة الثالثة ينظر في ذلك إلى أثره المتعدي فيه ، فهذه الثلاثة جهات إذا نظر الإنسان بسياق واحد فإنه يستطيع أن يميز وأن يحكم حكمًا دقيقًا .

فقد لان النبي ﷺ مع الذي بال في المسجد في حين شدد في البصق في القبلة لأن الذي بصق هو من أهل المدينة ويعرف من العلم بخلاف الأعرابي الذي بال وقد جاء وافد لا يعرف الأماكن المقدسة من غيرها .

فالنبي ﷺ لان في موضع يُحسب أن يكون فيه شديدًا وشدد في موضع يُحسب أن يكون فيه لينًا لحكمته .

كذلك أيضًا في قوله ﷺ (دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) [١٥] لما استأذن في ضرب عنق المنافق فنظر إلى صدى الفعل فينظر في الموازين بحسب قيمته فمنها ما يتحملها الإنسان مهما كان وذلك ما يتعلق بأمور الإيمان والشرك ومنها ما دون ذلك فله مراتبه ومفاسده فينظر فيها الإنسان بعلمٍ وحكمة .

ولابد من بذل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو على اختلاف في المراتب والمفسدة يقدرها الإنسان بما أتاه الله تعالى من علم وحكمة ودراية ، فمثلًا بالنسبة للوالدين فإن الإنسان يلين معهما فالتوجه لهما يختلف عن التوجه لأخويه أو لزوجه أو لولده ، فقد جعل الله تعالى لكل شيء قدرًا ، ولو كان المنكر في ذلك واحد ، فيلين معهما في الخطاب بأن يتوجه إليهما باللين ويطيعهما بالمعروف ويخالفهما في ما خالف أمر الله تعالى وكذلك مع كبار السن ينبغي الرأفة والرحمة بهم في الأمر .

---

١٥) رواه البخاري (3518).

التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ينبغي ألا يأمر بمفضول مع تعطيل الناس للفاضل إلا في حال أراد أن يجمع بينهما عند من يتحملهما ولا ينفر من ذلك فينبغي له أن يأمر بالأعلى ولهذا كما جاء من حديث عبدالله بن عباس قال ﷺ(إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)[١٦] .

فيبدأ الإنسان بالتدرج وهو التوحيد ويدع الأمر بذلك حتى لا يستثقل الإنسان الشريعة كاملة فإن الإنسان إذا أتاه التشريع جملة فإنه ينفر منه جملة ;ولهذا جاء عن عمر بن عبدالعزيز (إني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة)[١٧] لأن الإنسان المتجرد من كل شيء إذا لم يتوطن بالتدرج فإنه ينفر ، ولهذا إذا جاء إلى النبي ﷺ أحد أول ما يأمره بالشهادتين ولا يخبره بأمور الصلاة والزكاة ، وإنما يأمره بالتوحيد حتى يتدرج في هذا الأمر .

والجانب الآخر أن مرد التراتيب ليس لذات الإنسان وعاطفته فمن الناس مثلا من يستنكر شيء معين لعاطفته ويوجد ما هو أولى منه لهذا نقول المعروف ليس بالعاطفة والمنكر ليس بالعاطفة وإنما هو بميزان ، لأن العاطفة ربما تأتي على خلاف الشريعة ، ولهذا قال النبي ﷺ (تَعْجَبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ ؟ وَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي)[١٨] فهذه الغيرة هي غيره فطرية لا تستنكر ولكن لا يجب أن يؤخذ بها باعتبار أن حكم الله أولى لأن الله ينظر إلى مصالح العباد فيما هو أولى أن يُتخذ فيه .

---

١٦) رواه البخاري المغازي (4347) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ، أبو داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، مسند أحمد (233/1) ، سنن الدارمي الزكاة (1614) .

١٧) حكاها الشاطبي في كتابه الموافقات 2\148 .

١٨) رواه البخاري (7416) ومسلم (1499) – واللفظ له – عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ .

وبالنسبة للمنكرات أيضًا ينظر للمنكر الأعلى إلى ما دونه ولهذا كثير من الناس يقولون لماذا لا تنكر كذا ؟ ولماذا لا تنكر كذا ؟ ومرد هذا ليس للأذواق ولكن إلى تراتيب الشريعة ، وتراتيب الشريعة جعلت ثمة ضروريات خمسة وبداخلها تراتيب ففي أمور الأموال ثمة تراتيب ولها أحوال فالمال العام يختلف عن مال الأفراد .

وهذه التراتيب مردها إلى حكم الله تعالى لا إلى الأهواء وحس الإنسان ، ومن الناس من يتنازع في جانب هذه التراتيب فمنهم من يقلل جانب شيء ويعظم شيء أخر بحسب مدرسته الفكرية ورأيه فهؤلاء نزعوا إلى ما يرون وإلى أبصارهم الذاتية لا إلى حكم الله فطرأ عليهم تغيير عاطفي أو ربما دخيل الأفكار والآراء والمذاهب.

متى يقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ثمة منكر دائم يرد على الإنسان ويراه صباحا ومساءً فلا يستطيع أن يديم الأمر والنهي فيجب عليه إدامة الإصلاح ولكن بتفاوت يعني لا يكون مستديم كل ما رأى ذلك المنكر حتى لا يكون منفرًا ، فربما ينكر مرة ويدع مرة أو مرتين حتى لا يكون دافعًا إلى حظوظ النفس أن يتمسك بمنكره عنادًا ، ولهذا لا ينبغي في إصلاحك أن تخلق معاندين لأن الحق ليس لك ، وإنما هو لله سبحانه فينبغي لك أن تطرحه وأن تسوق الحق الذي أمرك الله تعالى به ، لأنك قد وقعت صفقة مع الله سبحانه ولهذا يقول تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(البقره : 207) قال غير واحد من السلف كما جاء عن عمر وعثمان وعلي عليهم رضوان الله أن هذا نزل في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر شروا أنفسهم لله سبحانه وهذا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فينبغي للإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولو بقي المنكر وألا يمل.

وثمة مقاصد منها أنك إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ولم يزل المنكر ولم يفعل الناس المعروف ، فربما أمسكت لأن أولئك الناس بقوا على ما هم عليه ، فجاء جيل أخر فقالوا ما سمعنا بهذا في إبائنا الأولين ، وهذه أخطر حجة أن يولد جيل يقول خمسين سنة ما سمعنا بهذا ، فينبغي أن نأمر وننهى ولو لم يتغير الخلق لكي يبقى الحق ظاهرًا في أذهان الناس ، ثم يكون العلم لدى الإنسان ، ربما لا يتغير الإنسان عن ظاهره ولكن لديه في قلبه قناعة أن الباطل حق والحق باطل . فإذا حافظنا على تغيير الباطل وقناعته ربما يقلع في سنة أو سنتين ، بدلاً من كان عليه قناعة باطل تستمر عليه أمدا ، ولهذا في أصحاب السبت حينما حاجوا الذين أمروهم قالوا هؤلاء مستمرون في الصيد يوم السبت وأنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولم يتغير منهم أحد كما في قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾(الأعراف : 164) فكان الرد عليهم ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : 164) فهؤلاء أرادوا الإعذار إلى الله وقيام الحجة ، فنوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عام ومع ذلك استمر في الدعوة والإصلاح ليل نهار سرًا وجهارًا، تقلب فيهم على أحوال متعددة ، ومع ذلك ما أمن معه إلا قليل .

وخصوصية الإنسان وحريته من المفاهيم التى يقع فيها لبس عند كثير من الناس ، ويظن أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يخالف حريته ، وكأن الإيمان مسألة قلبية لا علاقة للغير بها .

وإذا رأى أحدهم أن الخالق لا شأن له بالمخلوق فإنه يرى أن المخلوق لا شأن له بالخالق وهذه نظرية قديمة تكلم فيها كثير كأرسطو وأفلاطون وسقراط الذين يرون أن الله خلق الكون ثم انفك عنه وجعله يدير نفسه فلا يتصرف بذلك ، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوًا كبيرًا .

ولهذا إذا رأى الخصوصية أن يتفرد بها عن الخالق فهي أولى أن يتفرد بها عن المخلوق ، لهذا كلما عظم إيمان المخلوق وصلته بربه فإنه يرى أن نفسه وديعة كما أمره الله تعالى وإذا وقع خلل فيها فإنه يصلحه غيره .

وقد جاء في حديث أبي بكر الصديق أنه قال : أيها الناس ، إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(المائدة : 105) إلى آخر الآية ، وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ من عنده﴾[١٩] .

وهذا إشارة إلى ما يتعلق بخصوصية الإنسان وحريته .

فالمال ليس لك أن تتصرف فيه بذاتك والنفس ليس لك أن تنتحر إنما هي أمور لله تعالى أمرنا الله أن نبلغ الحق فيها وفي نهاية الأمر تُقام الحجة على الناس .

الابتلاء الواقع على الآمربالمعروف والناهي عن المنكر

لابد من لحوق الابتلاء بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لقول الله تعالى ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ ﴾ (لقمان : 17) يعني لابد أن يصيبك شيء فأمر بالصبر لأنك تصارع أهواء ، منهم من تنازعه في ماله ومنهم في نفسه وغير ذلك ، فينبغي للإنسان أن يصبر على هذا الابتلاء .

ولهذا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بينه وبين الله شيء من العقد ونفسه ليست له وعرضه ليس له فينبغي لمن كان متصدر في الناس أن يبذل شيء من عرضه ونفسه في ذلك وأن يستعد للابتلاء فلاشك من وقوعه .

---

١٩) صحيح الجامع (1973) ، والترغيب والترهيب - الصفحة (232/3) .

عقوبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لاشك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماية ووقاية للأمة وقدربطهاالله تعالى برحمته التى تتنزل على الأمة فإذا وجد المصلحون رفع الله عنها العقاب ولهذا كما جاء في الصحيحين (عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرَ قَدِ اقْتَرَبَ.فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ "وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً.قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِّ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ:"نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)[٢٠] يعنى وجود الصالح إذا لم يكن مصلح تُهلك به الأمة ولهذا يقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(هود : 117) يعنى إذا كانوا مصلحين فإن الله لا يعذبهم لوجود المصلح لأن نفعه متعدد ولو كان قليل .

لهذا الأمة التى فيها مصلحون أمة مرحومة ولو قل فيها الصالحون ، والأمة التى فيها الصالحون وانعدم فيها المصلحون أمة تستحق العقوبة .

فالصالح ولو كثر تنزل عليه العقوبة مع الناس وأما المصلح ينجيه الله ولهذا يقول الله تعالى﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(الأنفال : 33) والنبي أعلى من يقوم بأمر الله فتُحمى الأمة بإصلاحه فهو إمام المصلحين ، وكما جاء في حديث عائشة عليها رضوان الله تعالى (قال رسول الله ﷺ: يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِّ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ)[٢١] أى حتى الأبرياء لأنهم لا يأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر فتنزل عليهم العقوب لكن لا يعاقبون في الآخرة إلا على أفعالهم التى اقترفوها ظاهرةً وباطنة .

٢٠) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (3097) ، و مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (5128).

٢١) رواه الْبُخَارِيِّ مطولا(65/3 – 66) كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَا ذُكِرَ مَا فِي الْأَسْوَاقِ ، ومُخْتَصَرًا (149/2) في كِتَابُ الْحَجِّ بَابُ هَدْمِ الْكَعْبَةِ.